

الاتجاه الواقعي الاشتراكي:

د.بوشيبّة عبد القادر.

المحاضرة الخامسة/ مادة المسرح المغربي- السنة الثالثة (أدب عربي).

1 نشأة الاتجاه الواقعي الاشتراكي:

يمكن القول عموماً إن الظروف التي سمحت بميلاد الاتجاه الواقعي الاشتراكي في الجزائر لا تكاد تختلف عن الظروف التي سمحت بظهور هذا الاتجاه في البلدان العربية الأخرى، فجميع البلدان العربية عاشت ظروفًا تاريخية وثقافية متشابهة، بسبب وقوع هذه البلدان جميعها تحت نير الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي من جهة، ومن جهة أخرى أن هذه الدول العربية تشترك في عناصر حضارية ودينية ولغوية واحدة تقريباً.

إن النهضة العربية في منتصف القرن العشرين كانت متقاربة ومتشابهة أيضاً، فقد شهدت البلدان العربية ميلاد حركات تحريرية وطنية حملت على عاتقها تخليص الشعوب العربية من الاستعمار الأجنبي. لقد عبر الأدباء والفنانون عن هذه الموجة التحريرية بمختلف اتجاهاتها الفكرية والأيديولوجية خاصة بعد إطلاعهم على النظرية الاشتراكية في الغرب وأثرها في تغيير المجتمعات في الغرب والشرق.

يعتبر (غوركي) أول من ثار على قواعد وأصول الكتابة التقليدية في مختلف الأنواع الأدبية، فقد حاول استنباط أصول جديدة مواتية لفلسفته الاشتراكية العلمية النابغة من النظرية الماركسية المعروفة⁽¹⁾ وتبعه الكثير من الأدباء والفنانين النقاد الاشتراكيين في الدعوة إلى التخلص من قواعد الكتابة الفنية الكلاسيكية ومن بينها التأليف في الفن المسرحي.

لقد صاحب ظهور الماركسية في العالم ميلاد اتجاه جديد سمي الواقعية الاشتراكية وهي "ليست مجرد وجه براء من وجوه الواقعية نبت عفويا واتخذ مساره في التطور والتنامي بشكل أدبي مستقل، بل احتشدت فيها وحولها كل الخصومات التي يتسع لها العصر فبينما وصل البعض في تقديسها والالتزام الحرفي بها. إلى اتخاذها ديناً لا ينبغي للأدباء أن يلحدوا فيه أو يفكروا"⁽²⁾ تنظر الماركسية إلى الفن بوصفه أداة لا يصال التعاليم النظرية للمجتمع فالفن

كله "ينبع من تصور إيديولوجي عن العالم، بل لا يمكن أن يوجد عمل فني يخلو تماما من مضمون إيديولوجي"⁽³⁾.

يعد (برتولد بريخت)⁽⁴⁾ رائدا للمسرح الاشتراكي، فقد حاول ايجاد شكل فني يختلف جوهريا عن المسرح السائد، ودعا الى مسرح جديد يختلف عن المسرح الأرسطي⁽⁵⁾ البورجوازي. يقول "إذا اعترفنا بأن العالم الحديث يعد قادرا على الانخراط في الاشكال الدرامية الموجودة فما هذا إلا لأن هذه الأشكال الدرامية لم تعد تتلاءم مع عالمنا"⁽⁶⁾

شهد المنتصف الثاني⁽⁷⁾ من القرن العشرين ميلاد الاتجاه الواقعي الاشتراكي في البلاد العربية، بفضل التطورات الفكرية وما صاحبها من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية في العالم، أثرت ايجابا على منظومته الفكرية فقد هرع بعض الأدباء والنقاد العرب إلى نقل هذه الأفكار الجديدة الى مجتمعاتهم، ونشروها بين شرائحه الاجتماعية المختلفة، ناظرين إلى الانتاج الأدبي - السابق - نظرة سخرية واستهزاء بوصفه انتاجا لا يتماشى مع طبيعة المرحلة التي تتطلب أدبا وفنا ثوريين يتجاوز الأطر المعرفية المتداولت.

إن الفنان أو الأديب في نظر الواقعية الاشتراكية هو ذاك "الفنان الذي يبذل قصارى جهده ليعكس جانبا جوهريا من الواقع، وليواجه المشكلات التي تطرحها الحياة، ذات منحى شعبي بحكم طبيعتها"⁽⁸⁾. إن الانتماء الماركسي ميز أصحاب هذا الاتجاه بنظرتهم الجديدة، أو المختلفة عن غيرها الى الواقع والفن والتراث، خصوصا وأن التيار كان يشكل جزءا مكونا من تيار الفكر الماركسي في بلادنا العربية.

لقد وجد الاتجاه الواقعي الاشتراكي صدها في البلدان العربية، فحمل لواءه بعض المثقفين العرب الذين انبهروا بأفكاره الجديدة التي تتمحور حول النزعة الإنسانية وموقفه من بعض الفئات الاجتماعية المهمشة التي تكافح وتكابد دون أن نسترعي اهتمام المبدعين.

2/ الاتجاه الواقعي الاشتراكي في الأدب الجزائري:

واجهت الجزائر أبشع مستعمر في تاريخ الاستعمار القديم، فقد سعى الاستعمار الفرنسي على القضاء على الشخصية الوطنية ومن بينها اللغة من خلال محاصرتها في الزاوية، وفرض في

المقابل اللغة الفرنسية على الجزائري في معاملاته التجارية والقضائية والتعليمية، وعلى الرغم من الظروف المأساوية التي كان يعيشها الشعب الجزائري إلا أن الأفكار الاشتراكية لم تتسرب الى المبدعين الجزائريين عموماً، هذا على الرغم من جهود الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر، وحتى بعد انفصال الجزائريين عنه وتأسيس الحزب الشيوعي الجزائري⁽⁹⁾، الذي عجز في التأثير على الجزائريين، وبقي الشعب ملتفا حول حزب الشعب الجزائري ونجم شمال افريقيا وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ظلت أفكار الحزب الشيوعي الجزائري حبيسة أدراج الحزب، لأن الحزب نفسه نظر الى الوضع الجزائري نظرة مغايرة تماماً فكان يرى أن الصراع في الجزائر مجرد صراع طبقي. بعد استقلال الجزائر، وبسبب الظروف المأساوية، اتجهت نحو النظام الاشتراكي مركزاً على العدالة الاجتماعية والنهضة الاقتصادية والتقدم الاجتماعي وفي خضم هذه الثورة التغييرية والغليان الشعبي نشر بعض المتحمسين للنظرية الاشتراكية - بسبب الظروف المناسبة - أفكارهم الجديدة والتي عمت البلاد لاحقاً.

3 المسرح الجزائري والاتجاه الاشتراكي:

في بداية السبعينات من القرن الماضي عمت الاشتراكية في الجزائر، وتأثر الكثير من الكتاب والمسرحيين والفنانين بالأفكار الاشتراكية، فسعوا الى معالجة الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والزراعية وفق المنظور الاشتراكي، فانتشرت الأفكار التي تؤسس للاتجاه الواقعي الاشتراكي بوصفه اتجاهاً يعادي ويناقض الاتجاهات الأدبية والفكرية السائدة.

ومن المسرحيين الجزائريين الذين أسهموا في ترسيخ الاتجاه الاشتراكي عبد القادر علول⁽¹⁰⁾، الذي كتب أعمالاً مسرحية تستقي مرجعيتها من الواقع الجزائري خاصة فيما تعلق بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفق نظرة اشتراكية.

4 موضوعاته الاتجاه الواقعي وسماته الفنية:

يقوم الاتجاه الواقعي الاشتراكي في نظر - علول - الى البحث عن تقنيات جديدة وأفكار جديدة مستوحاة من كتابات (أرفين سكاتورور) و (ما يرخولد) و (برتولد بريخت)، فكتابات

هؤلاء الأعلام كانت - (وما تزال) - محط اهتمام الكتاب المسرحيين في الجزائر، فجعلوا منها نماذج تحتذى في كتاباتهم المسرحية، فجاءت جل الابداعات التي ظهرت ما بين 1970 و1986 متأثرة بالنظرة السياسية، (الايديولوجية) أكثر منها نصوصا مسرحية فنية.

1.4 مسرحية (الخبزة)⁽¹¹⁾: كتبها عبد القادر علولة سنة 1970 ، وهي السنة نفسها التي شهدت

تطبيق حق القرارات السياسية المتعلقة بالبناء الاشتراكي تؤيد المسرحية حق العمال والفلاحين في نضالهم من أجل كسب مطالب اجتماعية واقتصادية، وتطرح قضيتهم وفق منظور اشتراكي، أي الصراع الطبقي بين الأغنياء والفقراء، وذلك من خلال توظيف شخصين متناقضين أحدهما تمثل عاملا بسيطا، والثانية تمثل رجلا اقطاعيا مترفا ينشب الصراع بين الطبقتين لتعارض وتضارب المصالح، وينتهي الصراع بانتصار الطبقة العاملة.

2.4 مسرحية المائدة:

هي مسرحية من تأليف جماعي فقد قامت مجموعة من الممثلين في المسرح الجهوي بوهران وقد شاركهم في كتابة هذه المسرحية عبد القادر علولة سنة 1972.

يدور موضوع المسرحية حول حياة الفلاحين في القرى ودور الطلاب من خلال عملية التطوع في توعية ومساعدة الفلاحين من خلال ارشادهم بالقضايا الراهنة.

تطرح و المسرحية تطرح حقائق اجتماعية وثقافية وسياسية، منها تأمين الأراضي والثورة الزراعية وبناء القرى الفلاحية وغيرها.....